(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
2024 (آذار), مجلد 2,عدد 1 ,الصفحات 23-41

بين التجديد والحداثة عند الشاعرتين سيتويل ونازك

دراسة مقارنة

م.د. منـــى قاســم معارج[1]*
[1]كلية التربية, جامعة واسط, واسط, العراق

الملخص

لقد بحث رواد الشعر الحر عن مظاهر الجدة والإبداع في الآداب الغربية، والعربية انطلاقاً مما كانوا يحسون به من نوازع قوية إلى التجديد، والحداثة، والتنويع في حياة الشعر. إن أغلب شعراء الحداثة والتغيير كانوا يتقنون لغة أجنبية واحدة أو أكثر، فهم يصدرون فيما ينظمون عن ثقافة مزدوجة.

تفاعل رواد الشعر الحر مع التراث العربي والغربي بفهم جيد، إذ استطاعوا أن ينظروا إلى التراث من بعد مناسب، وأن يمثلوه لا صوراً واشكالاً وقوالب، بل جوهر وروح ومواقف، فأدركوا فيه بذلك أبعاده المعنوية كما عدّوا حداثتهم حلقة في سلسلة الحداثات التي بدأت في زمن مبكر، مرتبطة بمظاهر التجديد وحداثة التنويع المناسب للعصر الحديث.

وقد اتبعت هذه الدراسة المدرسة الأمريكية التي تهتم بالظواهر الأدبية فهي مبنية على ملاحقة التشابه بين الآداب المختلفة في الثقافة الأدبية للشاعرة العراقية نازك الملائكة، والشاعرة الإنكليزية إديث سيتويل دراسة مقارنة ضمن التجديد والحداثة وفق المنهج المقارن، وشرعت تدخل عليها أمورُ متنوعة من الحداثة الغربية والعربية بصورة مباشرة وغير مباشرة.

الكلمات المفتاحية: الشعر الحر ، إديث سيتويل ،نازك الملائكة، التجديد، الحداثة.

Between renewal and modernity among the poets Sitwell and Nazik, a comparative study

Lecturer Dr. Muna Qassim Muarich[1]*
[1]college of Education, University of Wasit, Wasit , Iraq

Abstract

The pioneers of free poetry searched for aspects of novelty and creativity in Western and Arab literature based on the strong desires they felt for innovation, modernity, and diversification in the life of poetry. Most of the poets of modernity and change were proficient in one or more foreign languages, so in their writing they came from a dual culture.

Accordingly, the pioneers of free poetry interacted with the Arab and Western heritage with a good understanding, as they were able "to look at the heritage from an appropriate dimension, and to represent it not with images, shapes, and templates, but rather with essence, spirit, and attitudes. Thus, they realized in it its moral dimensions." They also considered their modernity as a link in the chain of modernities. Which began at an early age, linked to aspects of innovation and modernity of diversification appropriate to the modern era.

This study focused on examining the Iraqi literary culture of the poet Nazik Al-Malaika and the English poet Edith Sitwell, a comparative study within renewal and modernity according to the descriptive and analytical methodology.

* **Email address: Munaqassim400@gmail.com**

Various matters of Western and Arab modernity began to enter into it, directly and indirectly.

Keywords: free poetry, Edith Sitwell, Nazik al-Malaika, renewal, modernity. Influence

مـــدخل

إديث سيتويل (1887-1964)

شاعرة وناقدة وكاتبة سيرة إنجليزية، (وُلدت في سكاربوروج من أسرة أرستقراطية)، نالت لقب (dame)، وهو لقب يوازي (sir) لدى الرجال وهي ابنة السير جورج سيتويل واخت السير أوزبيرت وساشفيربل سيتويل، اشتهرت بأزيائها التقليدية التي تعود إلى العصر الاليزابيتي و بآرائها النافرة عن الآراء السائدة بين اعضاء أسرة الأدب الرفيع تحولت إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية عام 1955.

عرفت في أول الأمر بغرابة أبنيتها الأسلوبية، ولكنها ظهرت خلال الحرب العالمية الثانية بوصفها شاعرة عميقة الإحساس تجاه المآسي الإنسانية للحرب، وكانت متأثرة بالشاعرين يتس ، و ت.س.اليوت في شعرها المبكر، إذ تبدو سيادة الإحساس البصري والمفاهيم الجمالية ، والصور غير مألوفة، مؤلفاتها ((بيوت الريفيين1918م، كوميديات رعوية1923 م، الجمال النائم 1924، اغنيات الشارع1942، الاغنية الخضراء 1944، اغنية برد 1945)، أما مؤلفاتها النثرية: الكسندر بوب1930 م، اعيش تحت شمس سوداء 1937))[1]

كتبت إديث سيتويل عدة مجلدات من الشعر والنثر، وعاشت معظم حياتها مع هيلين روتهام التي كانت مربيتها، لم تتزوج قط، لكنها أصبحت مرتبطة بشدة بالرسام الروسي بافيل تشيليتشو.

تأثرت سيتويل بشدة بشعر الرمزيين الفرنسيين، حيث تناول شعرها مظاهر الحياة السطحية، ولهذا الغرض، طورت أسلوبًا غريب الأطوار، ايقاعيًا بشكل مؤكد وفوضوي على ما يبدو.

نشرت سيتويل شعرًا يعود إلى عام 1913، وبعضه مجرد موسيقى، تم الإشادة بأعمالها لتقنيتها القوية وحرفية مضنية، استخدام الرموز منتشر وواضح في شعر سيتويل.

إن شعرها المبكر مستمد بشكل أساسي من عالمها الطبيعي ومن ذكرياتها المبكرة، ومع ذلك، فإن رموز شعرها المتأخر متجذرة بعمق في الأساطير المسيحية.

منذ الطفولة، أظهرت إديث حبًا فريدًا لكل من الموسيقى والشعر، و كان لمربيتها (هيلين روتهام) أهمية كبيرة في التطور المستقبلي للشاعرة وفنها، كانت هيلين روتهام، فنانة الموسيقى والأدب اللامعة التي لم تصبح فقط معلمة إديث ولكن أيضًا صديقتها المقربة ورفيقتها حتى وفاتها في عام 1938، بالإضافة إلى كونها فنانة، ترجمت هيلين الكثير من الشعر الفرنسي مع التركيز بشكل خاص على قصائد بودلير وإضاءة رامبو لذلك، من عدة نواحٍ، لعبت هيلين دورًا أساسيًا في رعاية وتعزيز حب دام إديث المتأصل للشعر وميلها الطبيعي نحو الفنون.

لذلك في وقت مبكر من حياتها، تأثرت دام إديث بالشعراء الإنجليز العظماء والأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر، ولا سيما شعر بودلير، قامت بدراسة الرموز الفرنسية وتقنياتها، بالإضافة إلى هذا التأثير الأدبي، أقامت عائلتها في إيطاليا، حيث أظهرت حبها لإيطاليا وفنها وثقافتها، وزياراتها العرضية إلى إسبانيا، كان لها تأثير كبير عليها.

يشير شقيقها في التأكيد على تأثير هذه الرحلات: ((لقد أصبحنا قادرين على التمييز بين الأشياء الجيدة والسيئة، واستخدام حكمنا الخاص وعدم تصديق: أي شيء عن الفنون قيل لنا فقط))2.

في قصائدها المبكرة، ولا سيما تجاربها في (Facad)الواجهة، تعتمد في التأثير على الإيقاع وسرعة استخدام القوافي، الموضوعة في بداية السطور وفي وسطها، وكذلك في نهايتها، وكانت تدرك دائمًا أهمية الموسيقى في تكوين الشعر [3].

نازك صادق الملائكة (بغداد 23 أغسطس 1923- القاهرة 20 يونيو 2007)[4]

ولدت هذه الشاعرة العراقية ونشأت في مدينة بغداد النابضة بالحياة، وبدأت رحلتها التعليمية في كلية المعلمين العليا المرموقة، حيث صقلت معرفتها الثقافية. واصلت سعيها للمعرفة، والتحقت بمعهد الفنون الجميلة وأكملت بنجاح دراستها في قسم الموسيقى عام 1949. وسعيًا وراء المزيد من الإنجازات الأكاديمية، غامرت بالسفر إلى الولايات المتحدة وحصلت على درجة الماجستير في الأدب المقارن من جامعة ويسكونسن. -ماديسون. وبعد عودتها إلى وطنها عُينت أستاذة في جامعة بغداد، ثم قامت بالتدريس في جامعة البصرة وجامعة الكويت .بعد أن أكملت دراستها في اللغة العربية وحصلت على شهادتها عام 1944، دخلت نازك الملائكة عالم الموسيقى. بعد ذلك، انطلقت في رحلة تعلم اللغات اللاتينية والإنجليزية والفرنسية أثناء إقامتها في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد ذلك، كرست وقتها لنقل المعرفة كأستاذة في جامعة بغداد، وجامعة البصرة، ثم جامعة الكويت. أقامت في بيروت لفترة وجيزة مدتها عام واحد قبل مغادرتها عام 1990 بسبب اندلاع حرب الخليج الأولى. ثم انتقلت إلى القاهرة، حيث توفيت.

وحصلت نازك على جائزة البابطين عام 1996، كما أقامت دار الأوبرا المصرية يوم 26 مايو/أيار 1999، احتفالاً لتكريمها بمناسبة مرور نصف قرن على انطلاقة الشعر الحر في الوطن العربي والذي لم تحضره بسبب المرض وحضر عوضاً عنها زوجها الدكتور عبد الهادي محبوبة، ولها ابن واحد هو البراق عبد الهادي محبوبة، عاشت في "القاهرة منذ 1990 في عزلة اختيارية وتوفيت بها في 20 يونيو 2007 عن عمر يناهز 83 عاماً بسبب إصابتها بهبوط حاد في الدورة الدموية ودفنت في مقبرة خاصة للعائلة غرب القاهرة".

لها في رصيدها الأدبي عدة دواوين شعرية تحمل اسمها. صدر أول أعمالها المنشورة "عاشق الليل" عام 1947 في بغداد. بعد ذلك أصدرت "شظايا الرماد" عام 1949، و"استراحة الموج" عام 1957، و"شجرة القمر" عام 1968، و"البحر يغير ألوانه" عام 1970، و"مأساة الحياة وأغنية للإنسان" في عام 1968. 1977، و"الصلاة والثورة" 1978. وفي أعمالها الأدبية، أصدرت عدداً من الكتب البارزة منها "قضايا الشعر الحديث" (1962)، "التشرذم في المجتمع العربي" (1974) - دراسة سوسيولوجية، "سيكولوجية الشعر" (1992)، و"الصومعة والشرفة الحمراء". بالإضافة إلى ذلك، أصدرت مجموعة قصصية بعنوان "الشمس خلف الذروة في القاهرة" عام 1997.

ومن خلال هذا الرصيد كانت لها تجربة شعرية ميزتها عن غيرها ممن عاصروها، صورت بما كان موجود وعبرت بشعرها عن أحاسيسها الذاتية مستلهمة ذلك من مآسي غيرها، فاكتسب شعرها طابعا خاصا ميزته ظاهرتا التشاؤم والغموض، و قد لجأت إلى الأسلوب غير المباشر (الإيحاء) حتى تتمكن من الإظهار العام لإبداعها الشعري.

نازك الملائكة رائدة حركة الشعر الحر التي تدعو إليها إحدى الوجوه في شعر التجديد التي تخلصه من رتابة التقليد وإحدى وجوه العناية بمضمون القصيدة، فهذه القصيدة الحديثة هي نفسها في ثوب جديد خال من عيوب الاهتمام بالشكل الخارجي للإبداع الشعري لأن التجديد ليس ثورة على العروض والأوزان والقوافي بقدر ما هو ثورة في التعبير ((كما اتسم شعرها بمحاولة التعبير الموضوعي عن العالم الخارجي وتشكيل الصور الإيحائية في الشعر على أساس التشكيل الموسيقي أي الإيقاع الداخلي عند الشاعر وحالته النفسية، كما تميز شعر نازك بالإحساس المفرط والتشاؤم والحزن العميق والتأمل الوجداني الرومنسي حيث كانت تميل إلى الميتافيزيقيا في حل موضوعاتها التي تدور حول التساؤل في مصير الإنسان والموت والخلود معتمدة في ذلك على لغة الرمز والإيحاءات واللغة التي تجابه التعبير عن الأحاسيس المبهمة والعوالم الخفية))[5].

أما بخصوص دورها في التجديد، فنقول إن التجديد ومظاهره قد ترجع في الشعر العربي إلى العصر العباسي، ذلك العصر شهد تغيرات مست الشكل والمضمون،((فالشعر الحديث مر بمراحل عديدة قطعها أثناء فترة تطوره، فالأديب العربي والشاعر المعاصر تعددت قضاياه و ظواهرهما الفنية والمعنوية ، فقد هبت رياح التغيير مع حركة التجديد، والتي ظهرت مع ظهور النهضة الثقافية والاجتماعية في الوطن العربي وكانت بدايتها الأولى في مصر بظهور المدارس الأدبية الحديثة كمدرسة الديوان والتي جاءت كثورة عارمة على التقليد مدعمة بمفاهيم النقدية الرومانسية بالتأكيد على صدق الشعور والوجدان ثم تلتها جماعة أبولو وغيرها من المدارس المهجرية))[6]

((ظهرت حركة الشعر الحر وبدأت تترسخ مع جيل الشعراء الشبان المتأثرين بالأدب الغربي و الذي جعل الشعراء يفكرون في أيجاد طريقة تمكنهم من حل عقدة العجز في الشعر العربي الحديث، فاتصلوا بالآداب العالمية والمدارس الأدبية الغربية والعربية وقاموا بالتفكير في طريقة جديدة لشعر، وهو الشعر الحر كحل ومخرج وحيد من أنفاق التقليد للشعر القديم وقد كان لنازك الملائكة الدور الكبير والفعال في بناء وتجديد دعائم هذا الشكل الجديد في الشعر العربي المعاصر))[7]

ساهمت نازك بقدر كبير في توضيح أبعاد حركة الشعر الحر، وبناء الأسس من خلال ثقافتها العميقة والواسعة وهذا التجديد نتيجة تأثر نازك بالأدب الانجليزي، حيث ابتعدت عن المضمون الرومانتيكي إلى التأثر بالشكل الشعري.

فالشعر الحر ثورة على أشكال القصيدة وموسيقاها ويكون معناها ذلك النوع الذي حاول فيه الشعراء أن يتحرروا من القيود القديمة للقصيدة، نحو شكل جديد تكون فيه الصورة الشعرية والموسيقية للقصيدة مرتبطة مباشرة بالحالة النفسية والشعورية التي يخضع لها الشاعر.

أوجه التشابه بين الشاعرتين

هناك تشابه كبير بين الشاعرتين يليق بنا أن نشير إليه هنا ونحن نتكلم عن شعرهما في هذا البحث إديث و نازك ، فكلتيهما من مواليد المدينة، فإديث وُلدت في سكاربوروج في أسرة أرستقراطية، وهي ابنةُ وأُختُ الشاعرين السير أوزبيرت وساشفيربل سيتويل، كذلك ولدتْ نازك الملائكة في مدينة بغداد في بيئة ثقافيّة فاضلة، فوالدُها هو الشاعر ومدرّس اللّغة صادق الملائكة، أمّا والدتها فهي الشّاعرة سلمى عبد الرزّاق، وقد تكون هذه البيئة هي التي قادت الشاعرتين إلى أن يضمن شعرهما نقد كثيرة من القضايا الاجتماعية والثورة ضد الافكار الرجعية فنازك ثائرة على التقاليد البالية والتي عكست ذلك في شعرها، فكان كثير منه صرخة ضد ما تعانيه المرأة العربية، فحين تقيد المرأة عن الحب بصورة عامة تتوقف عن حبها للحياة والوطن والأشخاص.

كلتا الشاعرتين كانتا تبحثان عن الغرابة والتجديد نلمح أن إديث من الشخصيات الأدبية الأكثر إثارة للجدل والخلاف في زمانها ؛لأن شعرها يلفه الغموض وكان أسلوب حياتها غريب الأطوار، حيث كانت ملابسها مثيرة للدهشة وملفتة للنظر المتمثلة بقبعتها المثيرة والمذهلة، وثيابها مستوحات من القرون الوسطى المُتدلّية والمُسْدَلة مع المجوهرات الضخمة.

وهذه الثورة على المجتمع وجدث عند نازك عندما كانت والدتها تنشر الشعر في المجلّات والصحف العراقيّة باسمها الأدبي "أم نزار الملائكة"، وهو الأسلوب المتّبع والسّائد بالنّسبة للكتّاب من النّساء في تلك الفترة، وذلك ما غيّرته ابنتها الشاعرة نازك الملائكة فيما بعد؛ حيث رفضت النشر باسم مستعار، إديث (في "عادات الساحل البارد" (1929) استخدمت الوزن الشعري أو إيقاع الموسيقى الأفريقية لإجراء مقارنة بين القبائل الأفريقية والمجتمع الإنجليزي في عام 1920 ، تُعدّ نازك من روّاد الشعر الحرّ، بل يعتقد كثيرٌ من النّقاد أنّ قصيدة الكوليرا لنازك الملائكة هي أوّل ما كُتب في الشعر الحرّ عام 1947م، ليسيرَ بعد ذلك على خُطاها الشاعر بدر شاكر السياب، ومن بعده الشاعر عبد الوهاب البياتي، أخرجَت ديوانها الثّاني بعنوان "شظايا ورماد" عام 1949م، حيث خرجَ شعرُها في ثوب الشّعر الحرّ متأثرة وبوضوح بقراءاتها الواسعة للشعر الإنجليزي، وبسبب الأفكار التي احتوتها والتمرد على التراث الموسيقي للقصيدة العربية، رأت نازك الملائكة أن الشعر الحر بشكله الجديد سيحظى بشهرة كبيرة وينتشر على نطاق أوسع. وهذا ما سبقته إيديث، إذ هاجمت - في كتاباتها المثيرة للجدل- تدني مستوى الذوق الذي رأته في المجتمع الإنجليزي، وانتقدت المواقف الاجتماعية للشعر الذي يركز على الأساليب أو النماذج التي تؤكد على الضوضاء والخيال. وفي عام 1923 أحدثت ضجة بإصدارها الواجهة (1922) وهي سلسلة متتالية. من إحدى وعشرين قصيدة، تم إعدادها على شكل قصائد غنائية وألحانها السير ويليام والتون.

وكانت سيتويل ملكة الآداب في منتصف القرن في عصر الحداثة، حيث انتقلت من المجلات الأدبية إلى الدوريات الأمريكية الشعبية، صعدت إلى الصدارة باعتبارها شاعرة وناقدة خلال ذروة النقد الجديد ومواليه الذكور، لكنها سقطت في مكانة هامشية في مختارات شعر النساء في السبعينيات والثمانينيات، ظلّت نازك إحدى علامات حركة التجديد الفارقة، مما قدّم لها فرصة فريدة سمحت لها أنْ تكون ملهمةً حقيقيّةً للمرأة ؛ فقد ظهرت كمفكّرة مستقلة، وباحثة، وكاتبة غنيّة عبّرت عن المرأة مظهرةً دورها في المجتمعات العربية، مشجعةً النّساء على أن يكون لهنّ صوت التّحدي في المجتمع، تلتقيان الشاعرتان مع رومنطيقية" جان كيتس(النائحة، ونفسية) ألن بو(السوداوية، وعدمية" اليوت) الخاوية، وتأمّلات الشعر المهجري الصوفية، وتكنيك الشعر التصويري، ولكنّها تظلّ بالرّغم من ذلك كل شاعرة محتفظة بشخصيتها المستقلّة، وبطابعها الخاص .

لو نعرج نحو استعمال الرموز هو أمر شائع وواضح في شعر سيتويل، فرموز شعرها المبكر مستمدة بصورة رئيسية من عالمها الطبيعي من ذكرياتها المبكرة، بينما الرموز في شعرها المتأخر راسخة عميقا في الميثولوجيا المسيحية، أما تأثرت نازك نجد الرموز ظهرت في بواكير شعرها أيضا وأخص مطولتها (مأساة الحياة) وكان الرمز الأسطوري هو التقنية الشائعة في مطلع القرن العشرين، أما في المراحل اللاحقة فكانت الرموز ذات الدلالة الخاصة والبناء الشعري ذي سمة رمزية[8] .

الحداثة عند الشاعرتين

"إذا كان مفهوم الحداثة يتجلى في الحركات الأدبية السابقة من خلال الأقوال والأبحاث النقدية فإن مفهوم الحداثة في الشعر الحر يتجلى من خلال الجانب التطبيقي أكثر من تجليه من خلال الأقوال والأبحاث النقدية، بمعنى أن مفهوم الحداثة هنا في الشعر الحر تم استشفافه من خلال الاستقراء والتصنيف والاستنباط أكثر من التقاطه من كلام رواده".

((الحداثة في الشعر إبداع وخروج به على ما سلف وهي لا ترتبط بزمن وكل ما في الأمر أن جديدًا ما يطرأ على نظرتنا على الأشياء فانعكس في تعبير غير مألوف)) [9]

وكان الشعراء الحداثيون مصرين ومتعمدين على جعل الشعر الحديث في مواجهة مع التراث الشعري القديم.

ويقول عبد الواحد :((إن مفهوم الحداثة عند شعرائنا الجدد مفهوم حضاري، هو تصور جديد للكون والإنسان والمجتمع و التصور الحديث وليد ثورة العالم الحديث في كافة مستوياتها الاجتماعية والتكنولوجية والفكرية))[10].

كما يؤكد" غالي شكري ((أن الحداثة مفهوم حضاري يشيد تصورًا جديدًا للكون والإنسان والمجتمع[11]، وهذا ما يؤكده جميع دعاة الحداث)) .

فالشعر الحديث رؤيا، والرؤيا طبيعتها قفزة خارج المفاهيم القائمة، إذن هي تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها، أو كما يقول الشاعر الفرنسي المعاصر، رينيه شار: ((الشعر الحديث يسعني بالكشف عن عالم يظل أبدًا في حاجة إلى الكشف))[12].

ويعد (بودلير) مؤسسة تيار الحداثة من الناحية الفنية الأدبية والذي نادى بالغموض في الأحاسيس والمشاعر، والفكر والأخلاق وكان(بودلير) الذي نمت وترعرعت على يديه بذرة الحداثة.

ثم أعقب بودلير رائد من رواد الحداثة في الغرب وهو (رامبو) الذي دعا إلى أن يكون الشعر رؤية ما لا يرى، وسماع ما لا يسمع، وفي رأيه أن الشاعر لابد أن يتمرد على التراث وعلى الماضي .

وقد تعاقب ركب الحداثيين في الغرب، وسلكوا الطريق نفسه الذي بدأه بودلير ورامبو وساروا على نهجهما، ومن هؤلاء مالارميه، و بول فاليري حتى وصلت الحداثة الغربية شكلها المتكامل النهائي على يد الأمريكي اليهودي(عزرا بوند)، والإنجليزي (توماس اليوت).

الحداثة عند سيتويل

أما إديث سيتويل والحداثة فكانا مرادفين تقريبًا بعضهما البعض، حيث كانت واحدة من أكثر المؤلفين نشاطًا داخل الحركة، كانت تحظى بشعبية كبيرة في النصف الأول من القرن العشرين وكانت في ذلك الوقت صديقة مقربة للحداثيين المشهورين مثل تي. إليوت، و. ييتس وديلان توماس وفيرجينيا وولف وجيرترود شتاين، كانت صالوناتها الأدبية مكانًا للتجمع لجميع أنواع الناس كما ذكرنا سابقا، بصرف النظر عن الكتاب والموسيقيين والفنانين .

تدعي غرين أن سيتويل كتبت قصيدتيها الخياليتين في الوقت الذي كانت تذهب به مع ساشفيريل – شقيقها - لفرقة الباليه الروسية، التي عادت إلى لندن في سبتمبر 1918، كان شقيقها صديقًا لمؤسس Ballet Russes (Sergei Diaghilev)، وغالبًا ما كان يصطحب أخته لمشاهدة عروض الباليه الملونة كما كانت مقطوعة بيانو، في عرض باليه، Ma Mère

(L'Oye) فاستندت منها لقصائدها الخيالية مثل(بيوت الريفيين 1918)، (الكوميديا الرعدوية 1923) (الجمال النائم 1924)، ويمكن اعتبار كل من الباليه و الموسيقى التأثير في التغيير الذي أحدث في قصائد إديث، قالت سيتويل نفسها إنها استخدمت الموسيقى كمصدر للإلهام أثناء كتابة قصائدها الخيالية وهناك بالفعل العديد من العناصر التي تجد صدى لها في قصائدها[13].

فاستيعابها في الشعر الفرنسي_ باعتبار إديث من المتأثرين الأدب الفرنسي_ علمها أن تبحث عن صور مجزأة، أحيانًا تشبه الحلم، موحية أكثر منها تمثيلية، ومتزامنة _أي عبور الحدود المعتادة للتجربة الحسية_، شجعها ذلك على اعتبار الشاعر أو الفنانة معزولة عن المجتمع العادي ومثقلة بالعبقرية في كثير من الأحيان، و قادها إلى الاعتقاد بأن العلاقة بين صوت وآخر لها قوة هائلة لاستحضار معاني تتجاوز أي بيان مباشر قد تصنعه القصيدة.

وبهذا المعنى، اعتبرت كتابة قصيدة على أنها أداء موسيقي محترف، تتطلب هجوم ودخول عازف بيانو مبدع.

كما تأثرت بشدة بدراستها لبودلير في عام 1904، تأثر شعرها المبكر بالتقنية الحديثة إلى الحد الذي يستغل فيه القيمة الموسيقية والترابطية للكلمات ويؤدي في كثير من الأحيان إلى تجاور غير متناسق للصور غير ذات الصلة ظاهريًا.

تعمل العلاقة المتبادلة بين الإدراك الحسي بشكل أساسي من خلال وسائط التلميح والمزاج والاقتراح؛ ويبلغ نظام المراسلات ذروته في اللامنطقية المبهرة للعديد من قصائد (Façade)/الواجهة)، يتم نقش الكلمات والمقاطع والأحرف المفردة في نوع من الفسيفساء الموسيقية، حيث يكون صوت واحد أعلى أو أقل، أو أفتح أو أثقل، أو أغمق أو أفتح في اللون من الآخر، ودرجة صوت ورنين كل حرف متحرك يتوافق مع صوت مختلف ملاحظات على السلم الموسيقي.

إنها تقنية تستمد قوتها من (La poesia pura) الشعر الخالص (لمالارم) والموسيقى فوق كل شيء(لفرلين).

يقول (Samberger[14]) بأن Sitwell استخدم تقنيات التغيير على كل من مستوى النص والنص البيني عبر الأكوان الزمنية متعددة الأبعاد واللغة والتلميحات المعقدة على مستوى النص، كما نرى ذلك في قصيدة (الجمال النائم) The Sleeping Beauty 1924، غير أن سيتويل ابتعدت عن عالم القصص الخيالية التقليدية واستقرت بحزم على حكاياتها الخيالية ضمن التقاليد الحداثية[15].

اختلف أسلوبها اللغوي عن الأسلوب البسيط والمتكرر الذي كان شائعًا في القصص الخيالية التقليدية، بالرغم من ظهور التكرار في قصائد القصص الخيالية، ما يهمنا من نتاج الحداثة لإديث الشعري هي الفترة التي كانت تتميز بكثافة الرمز الأسطوري فيها، كما يشير إلى ذلك الدكتورعلى البطل [16]، لأن الرموز كانت متطورة وصورها غير مألوفة، بخاصة في شعرها المتأخر الذي ظهر فيه تزايد التكنيك الفني والعمق الاحساس بالمعاناة [17].

والذي يطلع على شعارها يرى أنه لا تخلو قصيدة من قصائدها من مفردات الرمز أو الأسطورة وكثيراً ما حوت انزياحاً عن الفكر المعهود لرمز، فإديث استخدمت مثلا ظاهرة قوس قزح، حيث تقول:

In the street of the city of cain there were great Rainbows

Of emeralds: the young people، crossing and meeting[18]

تقول : ((وفي شوارع مدينة قايين، كان قوس قزح عظيم زمردي، الشباب، يعبرون ويتقابلون))[19]، قال جون جيل أحد مفسري الكتاب المقدس عن قوس قزح يعلن لنا الكتاب المقدس أن قوس قزح يرمز إلى السيد المسيح، رأى (يوحنا)

المسيح متسربلا بالسحاب وقوس قزح على رأسه[20]، وترى المجتمعات الغربية أنه حين تشاهد قوس قزح، فإن هذا يذكرنا بإدانة الله للخطيئة، أدانها بطوفان كونى في أيام "نوح" عليه السلام لكنه رحيم وأقام ميثاق نعمة مع "نوح" في حين أن قوس قزح، الذى يشير إلى السيد المسيح يذكرنا بهبة الخلاص المجانية أي أن الله يعقد ميثاقا مع البشرية الخارجة مع نوح من الفلك، مفاده انه ليس هناك طوفان آخر، وأن هذا الميثاق بدى على شكل القوس في السحاب[21].

إذا نظرنا لتوظيف قوس قزح عند إديث نرى أن الفكرة مختلفة حيث أن قوس قزح هم الشباب، بذور الحياة، يعيشون في مسراتهم وافراحهم، زاهية الوان ثيابهم، عامرة بالآمال نفوسهم، يتلاقون ويمرحون وكانت أعمارهم الغضة جديرة بأن يرعاها آلهة العالم الحديث وأن يتذكروا عهود الإنسانية، الأواصر الآدمية ولكن طواغيت التقدم العلمي المادي لم يتذكروا عهدا ولم يرعوا آصرة، وأمطروهم طوفان القنبلة الذرية الذي أوشك أن يدمر العالم[22]، بمعنى أنها شبهت العالم الحديث بالآلهة والعلماء التطور الحديث هم من بقي بعد الطوفان مع نوح، والعهد هم الشباب، فالطرفان قضوا على هذا العهد وأغرقوه بالقنابل النووية، وهذا من ابداعات العالم الخاص لإديث للمفاهيم الجمالية،

الحداثة عند نازك الملائكة

إن مؤثرات النزعة الرومانسية الغربية كانت مسيطرة على الأدب العربي الحديث وإن كبار شعراء الحركة الحديثة من أمثال: أدونيس وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة و صلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي وخليل حاوي، عند هؤلاء سوف نعثر على أبرز ملامح من أحدث شعراء العصر في أوروبا وأمريكا منه (إليوت وإزرا باوند)، وربما على رواسب من (رامبو وفاليري).

لقد رفض رواد شعر التفعيلة اكتفاء بصورة التقليدية كونها لم تعد قادرة على نقل الواقع في صور أكثر قوة وتأثيرا في المتلقي فعرجوا بذلك إلى خلق عناصر جديدة تحمل صورا جديدة قادرة على نقل المعنى وإيصاله بصورة مميزة ومتفردة، ومن أبرز هذه العناصر هي الحداثة ، و يبلغ التأثير الرومانسي الغربي في الشعر العراقي مستوى ناضجاً ومتقدماً في جيل شعراء ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي مقدمة هؤلاء الشعراء، الشاعرة نازك الملائكة.

يلوح التأثير الغربي في الرؤيا التي اعتنقتها في بدأياتها، والتي تنظر من خلالها إلى الوجود بمنظار التشاؤم، فقد اتَّحَدَتْ الفلسفة التشاؤمية لـ آرثر شوبنهاور (1788-1860) [23]، بالرؤيا الرومانسية التي تنزع إلى البحث عن المجهول، والجري وراء المطلق، وكشف الأسرار المغلقة[24].

ومن مظاهرها، تعبيرها عن أزمتها الوجودية، والصدمة التي عانتها جراء الثنائيات المتناقضة، عن طريق جمعها بين النور والظلام، والزهر والشوك، في جوٍّ من الشكوك والتساؤلات، كما فعلت في مطولتها "مأساة الحياة" [25] .

ويستمر نزوعها التشاؤمي، والأثر الرومانسي الغربي معها في ديوانها (عاشقة الليل)، ويبرز فيه أثر الرومانسية الانجليزية، حيث تنطبع أشعارها بأثر الشاعر كيتس [26]، ونجد في ديوانها قصيدة بعنوان (إلى الشاعر كيتس)، وهي قصيدة مستوحاة من قصيدته المشهورة "أغنية إلى العندليب"، كما تميزت الشاعرة بنشرها للشعر المترجم للغة العربية منذ عام 1945، من خلال ترجمتها لقصيدة (مرثية في مقبرة رينيه) للشاعر الإنجليزي (توماس غراي) وهي ترجمة شعرية في ثلاثة وثلاثين مقطعاً، حيث يبلغ عدد أبياتها الشعرية "مائة واثنان وثلاثون" شعرية خطوط. اختار الشاعر (البحر الخفيف) وقصيدة (البحر) للشاعر الإنجليزي (جورج جوردون بايرون) عام 1946، وهي أحد عشر مقطعا، وأيضا أربعة وأربعون بيتا من البحر الخفيف، ثم ترجمت قصيدتان في 1952، الأولى بعنوان (الشيخ ربيع) وهو ترجمة للشاعر الفرنسي (ازدهر

بلا نشمين)، وهي في سبعة مقاطع، وثلاثة وخمسون بيتاً من الشعر الحر، واختارت مجزوء الرمل كإيقاع للقصيدة. أما القصيدة الثانية فهي (النهر المغني) للشاعر الإنجليزي (كرسمس هيمغريس) وهي مكونة من ثلاثة أبيات وتتكون من أحد عشر بيتاً من الشعر الكلاسيكي، وهو من البحر المتقارب. وتضمنت مجموعتها (شجرة القمر) ترجمة قصيدتان للشاعر الإنجليزي (روبرت بروك)، الأولى بعنوان (لكنها ستكون الأخيرة)، وهي شعر حر في مقطعين، وأبياتها ستة عشر بيتا من البحر المتقارب، والثانية قصيدة (أسفار) وهي في أربعة أبيات شعرية صغيرة، وثماني أبيات من بحر الرجز المشطور.

ونجد قصائد مترجمة لشعراء آخرين، مثل قصيدة (البحر) (للشاعر بيرون)[27]، وقصيدة أخرى للشاعر توماس جراي [28]تضع لها عنوان (مرثية في مقبرة ريفية)[29]، ويمتد النزوع الرومانسي في ديوانيها التاليين (شظايا ورماد)، و(قرارة الموجة)، ويتميز الأخير بتعمق نزعة التشاؤم، وعدم وضوح معالم المؤثرات الأجنبية، فقد صارت الرؤيا الشعرية والأسلوب الشعري أكثر استقلالية، وأكثر نضجاً[30]، وفي (قصيدة إلى الشعر) اتخذت نازك من الرمز الأسطوري وسيلة فنية جديدة لتعبيرعن الواقع المتردي الذي كانت تعيشه، وذلك لأنه يهدف إلى الأيحاء والإشارة أكثر منه إلى التصريح والوضوح، كما يمكن له أن يجمع بين صفتين متناقضتين الحقيقة والخيال حيث تقول:

من بخور المعابد في بابل الغابرة

من ضجيج النواعير في فلوات الجنوب

من هتافات قمرية ساهرة[31]

حيث أن نازك قد وظفت بابل وشبهت الشعر به وجعلت له رائحة كبخور المعابد وجعلت من الشعر شيئا مقدسا كالمعابد، شيئا يدوم حتى وأن تلاشت العصور، حيث تقول:

حين تثقل رجع الرعود

ألف أسطورة عن شباب الوجود

عن عصور تلاشت وعن أمم لن تعود[32]

وبهذا فقد جردت الشعر من طبيعته المعنوية إلى طبيعة أجمل وأرقى، ومن شدة شغفها بالشعر فهي تجمع بين الشعر وقصة شهرزاد:

عن حكايات صبيان(عاد)

لصبايا ثمود

وأقاصيص غنت بها شهرزاد[33]

فشهرزاد كانت تحكي كل يوم حكاية لتتشبث بالحياة كذلك الشعر فهي تقدم كل يوم شي جديد كي لا يموت ويندثر[34].

إذن مفهوم الحداثة عند الشاعرتين مفهوم حضاري: هو تصور جديد للكون والإنسان والمجتمع والتصور الحديث وليد ثورة العالم الحديث في كافة مستوياتها الاجتماعية والتكنولوجية والفكرية، فالشعر الحديث رؤيا، والرؤيا طبيعتها قفزة

خارج المفاهيم القائمة، وهي تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها، أو كما يقول الشاعر الفرنسي المعاصر "رينيه شار": ((الشعر الحديث يعني بالكشف عن عالم يظل أبدًا في حاجة إلى الكشف))[35].

وتعتبر(الرؤيا) أداته الوحيدة التي تعيد صياغة العالم على نحو جديد وهذه الرؤيا هي جوهر هذا الشعر الذي يميزه عن أي مراحل تجديدية أخرى، فليست الحداثة بمقصورة على وحدة التفعيلية بدلا من وحدة البيت وليست هي استعارة الحديث العادي من حياتنا اليومية ومن تراثنا الشعبي، و ليست هي الدفاع عن قضايا الشعوب، وليست هي الانفعال بنا يجتازه الفرد من أحداث، إن هي كلها في رأي العناصر التي بها رؤيا الشاعر الحديث[36].

في الحقيقة إن الآراء في الحداثة كثيرة التي أدلت بدلوها فيه ولكننا نختصر ذلك بقول: إن الحداثة رؤية غربية تأثرنا بها فغيرت فى بناء القصيدة العربية، وهذا ما دفع بالدكتور إبراهيم السامرائي إلى القول: إن غياب الأصل في هذه الحداثة قد عبروا عنه في مسألة الغموض في الشعر الحديث، وقد عبر عن هذا أدونيس مستشهدا بمقولة بودلير الشهيرةالجميل غريب دائمًا .[37]

تأثر الشاعرتان بالزمكانية

للمكان دور في احتضان الأحداث، الشخصيات، كما أنه يتمثل الزمن بكل أبعاده، ويختلف مكان عن مكان تبعا لإدراك الفردي أو الجماعي في رسم المكان فالتجربة الجماعي تضفي معاني خاصة على المكان التي ترد إلى عدم انسجام المكان ((وإن كان لكل مكان قيمة في ذاته يستمدها من صلته بالمقدس أو غير مقدس، بل وله دلالة خاصة وحياة اسطورية))[38]، ((و كل محاولات الفصل بين المكان والزمان تفضي غالباً إلى اعتراف ضمني بوحدتهما أو بتماهيهما في الأصول))[39].

بالرغم من ثبات المكان، وتغير الزمان، فالمكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها، يحتوي على الزمن مكثفاً، وهذه هي وظيفته[40].

والزمكان Chronotope مصطلح صيغ نحتاً من الزمان والمكان، وفي توضيحه لهذا المصطلح يقول واضعه، ميخائيل باختين: ((ما يحدث في الزمكان الفني الأدبي هو انصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مدرك ومشخص، الزمان هنا يتكثف، يتراص ويصبح شيئاً فنياً مرئياً، والمكان أيضاً يتكثف، يندمج في حركة الزمن والموضوع بوصفه حدثاً أو جملة أحداث التاريخ علاقات الزمان تتكشف في المكان، والمكان يدرك ويقاس بالزمان، هذا التقاطع بين الأنساق، وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني))[41].

أما الزمكان الأسطوري يعبر عن ارتباط الزمكان الروائي بالأسطورة، وعلاقته بها، ويعني الزمكان المطلق الذي لا ينتهي ((فالأسطورة هي حدث بلا زمان أو مكان))[42]، ومكانها إذا حُدّد، ليس إلا من قبيل الرمز، ولم يكن الإنسان القديم ينظر إليها على أنها حدث تاريخي يشير إلى واقعة حدثت في الزمان والمكان الأرضيين، بل على أنها حدث رمزي .

فى قصيدة (Hornpipe) من ضمن سلسلة قصائد *Façade*[43]، و تمثل هذه القصيدة تناقض و هشاشة المجتمع الأرستقراطي، نجحت سيتويل في خلق هذا التباين في الحياة من خلال توظيف أسطورة بابل والتي تمثل المكان الرمزي لمظاهر التفاخر مع دقات الطبل والتي ترمز إلى الزمن [44].

Sailors come

To the drum

Out of Babylon;

Hobby –horses

Foam، the dumb

Sky rhinoceros-glum[45]

تقول (يأتي البحارة إلى الرقص خارج بابل الهواية – و خيول و رغوة البحر و وحش البحر)، لقد قيل إن برج بابل هو رمز لغرور البشرية، كما أن بابل في الأساطير المسيحية مرتبطة بالنساء "عاهرة بابل" [46].

تمثل هذه اللوحة واجهة الحياة الأرستقراطية التي تبدو وكأنها حياة مثالية، لكنها في الواقع ضحلة وفارغة ومملة كل شيء ليس كما يبدو أن الصلابة والتحكم الفيكتوريين والتى تشبه الرغوة التي تطفوعلى السطح المياة .

كما إن الطبل في هذه القصيدة يرمز إلى دقات الزمن ويؤكد على روح الإصلاح في العصر الداعية إلى التوبة قبل فوات الأوان [47].

مانراه إن إديث سلكت طرائق متعددة للزمكان ذات التأثير في شعرها (البحر أو المياه، بابل، الطبل)، فاختارت الشاعرة مسرحاً لأحداث شعرها، مكان ذو مرجعية (مدينة بابل) والأماكن عند إديث تقترب كثيراً من دائرة التجريد، وتفتقر إلى كثير من خصائص المكان وملامحه؛ فبابل لا نعرف عنها سوى أنها مدينة الماء ومدينة الزنا، شكّل الماء فيها أحد معالمها [48]، وربما مثلَ قرع الطبول هو موعد لنهاية الحتمية لهذا الزيف الذي يطغى على المدينة [49] .

أما في الأدب لم تغفر مرافقة الطبل للإنسان منذ فجر الحضارات، أن يكون له ذكر طيّب في حقول الأدب، فهو سيء السمعة ومُرادف للمعاني التي تفيد إهدار الوقت، والجنوح إلى اللهو على حساب الجد والاجتهاد، ونشر الإشاعة، والأحاديث الجوفاء وغيرها من المعاني التي لا توافق الخُلق القويم[50].

أما في " Mariner Man " تعيد إديث الرموز نفسها البحر والذي يرمز إلى الحرية والفضاء والامل في المستقبل، ومدينة بابل لكن تزيد على هذه الرحلة مدينة أخرى من المدن الأسطوري وهي مدينة الطروادة:

Running half the way over to Babylon، down

Through fields of clover to gay Troy town

A-puffing their smoke as grey as the curl[51]

أسطورة (طروادة) تحمل رمزيّة رائعة، وهي تعيدنا إلى ماض بعيد كانت فيه الرموز مرتبطة ارتباطا وثيقا بسعي الإنسان للبقاء على قيد الحياة، فمثلا الحصان الطروادي هو رمز للحرب، لكنه بالوقت نفسه انموذجا أصيلا لقدرة الإنسان على الابتكار وعلى التدمير.

كان حصان طروادة الوسيلة المثلى لحسم نزاع ملحميّ طويل أدّى في النهأية إلى القضاء على حضارة، وبالرغم من أن هذه القصّة منشؤها التاريخ القديم، إلا أننا ما نزال إلى اليوم نستخدمها في لغة الخطاب اليومي. وعندما نطلق على شيء ما "حصان طروادة"، فإننا نعني أنه حسن المظهر ولكنّه ينطوي على نيّة شريرة بداخله.

لكن الطروادة عند إديث هي مدينة المتعة، هي منزل جدتها في ويلز (Troy Park / تروي بارك)، ولأنها لم تراه من قبل، فقد أصبح رمزًا في خيالها لحياة السعادة والمتعة التي لم تستطع تجربتها[52].

وأرى أن إديث رمزت لمنزل جدتها بمدينة الطروادة لكون هذه المدينة حصينة ومنيعة ولا يمكن أن يدخلها احد، و يبدو أن إديث رسمت في مخيلتها صورة لهذا المنزل يشبه مدن الأساطير.

إديث في هذه القصيدة تتزاحم عندها وترسم صورة خيالية لرحلتها لمدينة طروادة "منزل الجدة" وهي تعبر الحقول الخضراء وفي سباق مع الزمن، وتطرح رمزية القطار إشارة إلى الزمن وعجلة العمر التي تمر بسرعة، وتتحرك عجلات القطار بلا هوادة، ويتحرك الوقت بسرعة كبيرة عندما يتقدم الإنسان في السن، فالقطار يرمز إلى رحلة الحياة التي تتحرك أحيانًا بسرعة وأحيانًا ببطء[53].

ويمكن القول: تتحقق أسطورة المكان من خلال الوصف الذي يهدف إلى تعجيب المكان وعناصره، فضلاً عن ذلك الحشد الهائل من الأساطير الواردة في مواضع كثيرة من السرد، إذ تتظافر كل وسائل الكاتب الفنية محققة للمكان وجوداً أسطورياً ينقله من مجرد بقعة يعيش في إهابها أناس متعينون إلى مستوى الرمز، والأسطورة الدالة، كما إن الأزمنة المتخيلة غير قابلة الخضوع لمقاييس الزمن، إلا على أسس من حساب زمن مطلق.

إن العيش في مدينة فاضلة يكون فيها الناس أحراراً ومتساوين أمام القانون هو حلم يستمد وجوده من حقائق مختلفة مثل غياب العدالة، والخداع، والحقد، والاحتيال، والظلم والظلام التي خيمت على البشرية من كل جانب لفترة طويلة من الزمن، لقد طاردت فكرة اليوتوبيا العديد من الكتاب والشعراء الذين لديهم شعور بالمستوى الأخلاقي العالي.

و يوتوبيا[54] "(utopia) مصطلح نشأ من اللغة اليونانية ويحمل فكرة وجود موقع افتراضي بحت أو غير موجود. اليوتوبيا هي عالم خيالي بعيد المنال، يجسد مجتمعًا مثاليًا، يشمل أنظمته القانونية، وهيئاته الحاكمة، وظروفه الاجتماعية العامة. إنه عالم يمكن وصفه بأنه من نسج الخيال، ويتجاوز الواقع الملموس. وهدفها النهائي هو تعزيز التعاون الاجتماعي الكامل، وبالتالي تحقيق أقصى درجات السعادة لكل فرد"[55].

"الفيلسوف اليونانى (افلاطون) ومن خلال كتابه "الجمهورية" كان هو صاحب الرؤية الذي تصور في البداية هذه الفكرة، مدركاً عالماً يتساوى فيه الأفراد في مقتنياتهم وممتلكاتهم وضرورياتهم. أما الفارابي فقد قدم مجتمعه المثالي في "المدينة الفاضلة"، حيث يتعايش الناس على قدم المساواة في ظل حياد العدالة.

واستمرّ رسم (اليوتوبيا) في الخيال الخصب لعباقرة الشعر والأدب والفلسفة عبر التاريخ. والملفت للنظر أن الكتابة عن اليوتوبيا تطورت بشكل كبير، وظهر تقدمها في العصر الكلاسيكي، أي حوالي القرنين السادس عشر والسابع عشر.

في عالم اليوتوبيا، نواجه العديد من الشخصيات البارزة التي ساهمت برؤاها لمجتمع مثالي، أحد هؤلاء الأفراد هو (توماس مور) الذي كتب كتابه الشهير (يوتوبيا) في عام 1516 م، وعلى خطاه، قدم (توماس كامبانيلا) المدينة الفاضلة الخاصة به في (مدينة الشمس) عام 1623 م، وبعد فترة ليست طويلة، شارك (فرانسيس بيكون) رؤيته لمجتمع مثالي في (اطلنطس الجديدة) في عام 1627 م وأخيرًا، في عام 1840 م، قدم لنا (إيتين كابي) مدينته المثالية المسماة (إيكاريا) في عمله الرائع "رحلة إلى إيكاريا).

ظهرت في منتصف القُرن التاسع القليل من الأعمال المتميزة في الأدب العربي التي انطوت ومن الأمثلة البارزة على اليوتوبيا، بما في ذلك غابة الحق (1865) لفرانسيس مرعش من حلب وأم القرى (1901) لعبد الرحمن الكواكبي ومؤلفين آخرين، تجسد هذا المفهوم.

إن الدلالة السلبية المرتبطة بمصطلح "اليوتوبيا" اليوم، والتي غالبا ما تستخدم لرفض الأحلام التي يُنظر إليها على أنها منفصلة عن الواقع، لا ينبغي أن تطغى على التأثير العميق الذي أحدثه الأدب الطوباوي في توسيع الخيال البشري وإلهام الرؤى للمجتمعات البديلة. وقد لعب هذا النوع دورًا مهمًا في تشكيل الأيديولوجيات وقيادة التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية عبر التاريخ. من الأساطير القديمة مثل جلجامش إلى أعمال الخيال العلمي الحديثة في الأدب والسينما، لا يزال الميل البشري إلى الحلم والسعي من أجل عالم أفضل مستمرًا. وما زلنا نأمل ونعمل، وننتظر بفارغ الصبر اليوم الذي تصبح فيه العدالة والسلام حقيقة ملموسة، تضمن السعادة للبشرية جمعاء[56]

أمّا نازك الملائكة تولعت بآثار الرومنطقيين الإنجليزيين وكجميع الأشخاص الذين يتمتعون بشخصية رومانسية، تشعر بمشاعر القلق والحزن، مما يدفعها إلى البحث عن العزاء في العزلة والتأمل. في سعيها، تتراجع عن حدود الواقع وتنغمس في عالم الخيال، وهو عالم يحمل وجودًا فريدًا وشاعريًا غير مقيد بحدود الزمان أو المكان، ولجأت إليه وعاشت فى كنفه.

استخدمت نازك (يوتوبيا) ولجأت إلى دائرة الأزمان ومكان يتعطّل فيه الزمن، بطبيعته المتأصلة في كونه أفقًا أبديًا، يبقى غير قابل للفهم ولا يمكن قهره، متحديًا الفناء، تقول نازك:

وحيث تضيع حدود الزمان

وحيث الكواكب لا تنعس

هناك الحياة امتداد الشباب

تفور بنشوة الأنفس

هناك يظلّ الربيع ربيعا

يظلّل سكان يوتوبيا[57]

استعملت (يوتوبيا) دلالة على مدينة شعرية خيالية لا وجود إلا فى أحلامها وهى ليس المدينة ذاتها التى رسمها الكاتب الإنكليزى (توماس مور)، ورسم من خلال إجراء مقارنات مع جمهورية أفلاطون وغيرها من الأعمال، يقدم المؤلف رؤية للجزيرة المثالية التي تشمل كلا من العناصر السياسية والإدارية.

أما المدينة كما تصفها الشاعرة تكاد تكون خالية من الشَّرِ أو ينبغى أنْ تكون كما تتذكرها دائما فى حياتها ومماتُها و هُناك يسمح لها القدرة على التفكير من أجل الهروب من الأسر، كما تحب الهروب من الواقع، ويبدو لها أن اليوتوبيا هي مفارقة للواقع، وكأنها ترفض الواقع بشكل كامل ونهائي لأنها:

"قد سئمتُ الواقعَ المرّ المملّا ولقد عدتُ خيالاً مُضمحلّا

فاتركينى بخيالى أتسلّى آه كاد اليأسُ يعرونى، لولا

أنّنى لُذتُ بأحلامِ السّماء وتَخيّرتُ خيالَ الشّعراء"[58]

فتهرب إلى حيث لا (الزمان أوالمكان) لان هذه القيود تغلها ولكن فى يوتوبيا تذوب هذه القيود فتحسّ بشباب لايزول

"هنالك عبرَ فضاءٍ بعيد تذوب الكواكب فى سحره

هنالك حيثُ تذوبُ القيود وينطلق الفكرُ من أسره

وحيثُ تنامُ عُيونُ الحَياة هنالك َتمتدّ يوتوبيا

ويوتوبيا حَيثُ يَبقى الضّياء ولاتغربُ الشّمْسُ

وحيثُ تَضيْعُ حُدودُ الزّمان وحيثُ الكَواكبُ لاتنْعَسُ

هناك الحَياة امتدادُ الشّباب تفورُ بِنشْوتهِ الأنفُسُ

هناك يَظِلّ الّربيعُ رَبيعا يُظلّلُ سُكّانَ يوتوبيا[59]"

تصف المدينة بأنها: بلد من عبير، تنصهر فيه الكواكب والنجوم، وتذوب القيود، ويتحرر الفكر، الضياء أبدىّ لأنّه لا زَمانَ موجود ولا ولا .....

ثم تعانق نازك امنياتها في هذا العالم الذي تعيش فيه، وتعبر عن رغبات طفولتها قائلة:

"وتَمرّ السّاعاتُ بى و أنا أبْنِى خفايا مَدينةِ الأحْلام

أى يوتوبيا فقدْتُ و عَزّ الآنَ إدراكُها على أيّامى

تلك يوتوبيا الطّفُولةِ لوْ تَرجعُ لو لمْ تكُنْ خيالَ مَنام

إيه تَلّ الرّمالِ ماذا تَرى أبقيْتَ لى منْ مَديْنةِ الأحْلام[60]"

تريد نازك أن تلجأ إلى ماضيها (أيام الطفولة)، وتريد أن تعيش فيه ليس مجرد خيال و أن تمرّ الساعات عليها بسرعة فعلاقتها بزمن الماضى هذا كلّه هروب، اكتشف العزاء من خلال البحث عن ملجأ في الطبيعة، سواء كان ذلك داخل أحضان الغابة الهادئة، أو أعماق الوادي الهادئة، أو تحت مظلة شجرة التين، مما يتيح لنفسك فترة راحة قصيرة، فترى أنّ عالم اليوتوبيا، عالم (اللامكان اللازمان) لابدّ أن يشيد فى باطن الإنسان فى قلبه، القلب الذى ليس له أىّ حقد، من قلب عميق وليس سطحيا، كما وصفته لنا الشاعرة هى:

"وشَيّدىْ يُوتُوبِيا منْ قُلوبْ منْ كلّ قلبٍ لمْ تَطأه الحقودْ

ولمْ تُدنّسْهُ أكُفُّ الرّكودْ منْ كلّ قلبٍ شاعرىّ عَميقْ

لمَ يَتمرّغْ بخطايا الوجودْ ومنْ كلّ قلبٍ لا يُطيقُ الجُمودْ"[61]

ثم تشيد نازك هذه المدينة بتضاريس تشبه تضاريس أرض الواقع فتصنع عالمها فيه التلال فوق سفوح الجبال، بين الظلال تحت أغصان الأشجار العالية ومن الألحان والصوت الجميل في المياه المتدفق.

"فَوقَ البِساطِ السّفْح بينَ التّلالْ

فى المُنْحنى حيثُ تَموجُ الظّلالْ

تَحتَ امْتدادِ الغُصونْ"

تفجّرى بالجَمالْ

وَشَيّدىْ يوتوبيا فى الجبالْ

يوتوبيا منْ شَجَراتِ القِممْ

ومنْ خَريْرِ المياهْ

يوتوبيا من َنَغمْ[62]

نجد أن الكلمة أي " يوتوبيا" في قصيدتها(يوتوبيا الضائعة") قد كررتها اثنتاعشر مرة، وهذا التكرار يدل على تأثرها بهذه الكلمة .

خلقت كل من إديث ونازك عالما أسطوريا خاص بهما، فهذه العوالم الخاصة والتي جزء منها هو الرغبة بالعودة إلى الماضي (الماضي البريء) خالٍ من إرهاصات الحياة وقسوة البشر، وحدود المكان المرسومة من خيالاتهم هي نوع من رفض الواقع، وتوظيف الرمز الأسطوري كان يؤدي الهدف المرجو من العودة إلى البدائية.

بينت الشاعرة أمنياتها وأحلامها فى عالمها المثالى الذى تتخيّله وتحبّ أن تعيش فيه و تعتصم به، أذن يمكن للإنسانِ ليهرب من الحقيقة والواقع المرير الذي يفرض عليه الألم، ويلجأ إلى الخيال، حيث يلتقي بعالم الطهر والنقاء، والعالم الذي يحبه كما يريد؛ وهذا هو الحال عند الرومانسيين.

نجد في قصيدتها (الأفعوان) أنها وظفت(لابرنت)[63] وهي كلمة إغريقية الأصل، معناها بناء ذو مسالك معقدة وأبواب لا حصر لها :

ثم ذات مسا ء

أ سمع الصوت سيرى فهذا طرِيق عميق

يتخطى حدود المكا ن

لن تعي فيه صوتا لغمغمة الأفعوان

إنه "لا برنث" سحيق

ربما شيدته يد في قديم الزمان

لأمير غريب الطباع[64]

في هذه القصيدة تعبر عن الإحساس الخفي، الذي يعترينا أحيانا لأن قوة مجهولة جبارة تطاردنا مطاردة نفسية ملحة وهذه القوة إما أن تكون مجموعة من الذكريات المحزنة، وأما هي الندم، أو عادة نمقتها في سلوكنا الخارجي المهم أن هذا الأفعوان يطاردنا باستمرار ونتهرب منه إذا لذنا (باللابرنت) و هويته معقدة المسالك يدخله المرء، فلا يملك مغادرته للتواء طرفه وكثرة أبوابه.

من هنا نرى أن أسطورة المكان تتحقق من خلال ذلك الوصف الذي يهدف إلى تعجيب المكان وعناصره، فضلاً عن ذلك الحشد الهائل من الأساطير الواردة في مواضع كثيرة من السرد، إذ تتظافر كل وسائل الكاتب الفنية محققة للمكان وجوداً أسطورياً ينقله من مجرد بقعة يعيش فيها أناس متعينون إلى مستوى الرمز، والأسطورة الدالة[65].

والأزمنة المتخيلة غير قابلة الخضوع لمقاييس الزمن، إلا على أسس من حساب الزمن المطلق .

النتيجة

يمكن أن نستنتج مما تقدّم أنّ الحداثة والتجديد هما تجاوز عقلي لكتابات العصر الكلاسيكي وفرض الجديد على المجتمع المعاصر. لأنّ الحداثة، لهذا، تعدّ دعامة من دعائم المعرفة الإنسانية غايتها الرقي بالإنسان إلى درجات رفيعة من العلم والمعرفة

1- يُعدُّ الشعر الحر من أكثر مظاهر التجديد الذي حدثت للشعر في العصر الحديث، وقد كانت بدايته على يد بعض الشعراء أمثال نازك الملائكة واديث سيتويل ، وقد استطاعا أن يصلا إلى آفاق بعيدة المدى في سماء الشعر العربيّ والغربي ، وكان شعرهما قد انتقل من نظام الشطرين في القصيدة إلى نظام القوافي المتعددة والشطر الواحد،

2- إن مفهومي الحداثة والتجديد عند الشاعرتين قد اكتسبا مفاهيم عدة كالتطور والتّغير والتجاوز، هي مقومات ينتقل من خلالها النص مما هو عليه إلى بنية حداثية أخرى تكتسي طابعًا جديدًا ترتفع قيمته إلى المدلولات التي تكشف عن الغموض في الشعر، الأمر الّذي سمح للشاعرتين أن يسبحا في فضاء عالم الحداثة .

3- إن نازك وإديث في كثير من أشعارهما قد عمدتا إلى توظيف الرموز الأسطورية (الزمكانية) لتعبرا عن أمور اجتماعية وسياسية وعاطفية.ليؤكدن من خلالها على الاضمحلال الحضاري الّذي أصاب العالم، ثمّ أنّ موقفهن قد يتأرجح بين اليأس والأمل، وبين التوافق والتخالف في آنٍ .

الهوامش

[1] Lehmann ، 1952**, Edith Sitwell**, London, Longmans, p. 5
[2] Lehmann, p. 10.
[3] Ellen,1972, A Study of Dame Edith Sitwell's "Later Poems: 1940-1945, , Loyola University Chicago.,p.9.
[4] خاطر،1990 :11
[5] الملائكة ،1981م ،ص29
[6] إحسان ،29،1992.
[7] خفاجي، ،1992 المنعم دارسات في الأدب العربي الحديث ومدارسو، ط1،دار الجيل، بيروت.:260
[8] ينظر:رباب :2009،ص34
[9] الخال، 1987، ص 15.
[10] لؤلؤة، 43،،قضية الشعر الحر العربي،مجلة الشعر، العدد43، صيف 1969 ، ص 76
[11] شكري، 1968، ص114.
[12] المصدر نفسة 1968، ص114.
[13] Ilse, 2015 , Tired of Waiting: Edith Sitwell’s Fairytale Poems, Ghent University Faculty of Arts and Philosophy, p52.
[14] Ilse ,2015, p52 .
[15] Ilse ,2015 , p52 .
[16] ينظر : البطل،1984م، شبح قايين، دراسة تحليلة، دارالاندلس، بيروت، ط1. : ص15.
[17] ينظر : البطل، 1984م : ص16.

[18] Edith Sitwell, p41

[19] ينظر: ترجمة النص، البطل، 1984 : ص26

[20] ينظر : المصدر والصفحة نفسيهما .

[21] عز الدين، د. ت : 15

[22] البطل، علي، 1984، ص44.

[23] فيلسوف ألماني كان يرى أن التعاطف أساس الأخلاق، إذ يحاول الإنسان أن يحس ألم أخيه فتخفَّ حِدَّته (ينظر : غربال واخرون، 1987 : 1100/2)

[24] لؤلؤة، 1982 : 11

[25] الملائكة : 59/1، 60، 6

[26] المصدر نفسه : 642ص

[27] الملائكة : ج 1، ص 660

[28] غربال واخرون، 1987 : 620/1.

[29] الملائكة: ج 1، ص 668

[30] لؤلؤة، 1982 :12-13

[31] الملائكة، ج 2، ص 558

[32] الملائكة : ج 2، ص 558

[33] الملائكة: ج 2، ص 558

[34] حريزي، 2017،الرمز الأسطوري وجماليته عند نازك ديوان شظأيا ورماد أنموذجا، جامعة محمد بو ضياف، الجزائر،ص48.

[35] . نقلا عن " غالي شكري ، شعرنا الى أين ؟ص114.

[36] بن ديده واخرون، 2016،الحداثة في الشعر العربي المعاصر نازك الملائكة، الجزائر. ص13.

[37] ينظر:السامرائي، 2002م،البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر، عمان. ص20.

[38] عجينة 1994، ج2، ص182.

[39] زغدان، 1995 ، المكان في رسالة الغفران -أشكاله ووظائفه،ط2، دار صامد، تونس ، ص 50.

[40] باشلار، 2000، جماليات المكان، تر. غالب هلسا، ط5،المؤسسة الجامعية، بيروت، ص 39.

[41] باختين، 1990، ص 6. نقلاً عن: شاهين، أسماء، 2001م، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية، بيروت، ط 1، ص 125، 126.

[42] السواح، 1987، قراءة في ملحمة جلجامش،ط1، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ص 53.

[43] Façade أو الواجهة عبارة عن سلسلة من قصائد إديث سيتويل المعروفة، حيث تُقرأ القصائد على ايقاع آلة موسيقية من قبل ويليام والتون.

[44] **IBRAHIM**, 2016 , EDITH SITWELL AND THE SYMBOLIST TRADITION: A STUDY Of HER POETRY, UNIVERSITY OF BAGHDAD,COLLEGE OF EDUCATION/ IBN RUSHD FOR HUMAN SCIENCES p69 .

[45] Sitwell,, p172

[46] **IBRAHIM**,2016 ،p68

[47] **IBRAHIM**,2016, p68 .

[48] IBRAHIM,2016, p67

[49] عرف عند قدماء السومريين والبابليين، ذلك الذي سموه «بالاق» وهو الطبل المُقدَّس، وإذا ما قُرع فصوته من صوت «الآلهة» ويجب الإنصات إليه والخشوع له.

[50] ياسين ،الطبل، مجلة القافلة الثقافية، https://qafilah.com/ar،

[51] CP, p165 .sitwell

[52] IBRAHIM,2016 : p73.

[53] IBRAHIM,2016 : p73.

[54] **" نُشر كتاب "يوتوبيا" باللغة اللاتينية عام 1516، وهو عبارة عن قصة آسرة من الخيال السياسي والفلسفي صاغها الفيلسوف والمفكر البريطاني الشهير، توماس مور. تتعمق هذه التحفة الأدبية في النسيج الغني لجزيرة غامضة، وتسلط الضوء على تقاليدها السياسية الفريدة وممارساتها الدينية وعاداتها الاجتماعي.**

[55] http://www. sayyaraljamil. com/Arabic/viewarticle

[56] https://www. google. com/url. wikipedia. org

[57] الملائكة. ج. 2 ص. 40.

[58] الملائكة. ج 1. ص. 599.

[59] ديوان نازك. ج. 2 ص40.

[60] ديوان. ج. 1. ص. 255

[61] ديوان. ج. 2. ص. 157.

[62] ديوان ج. 2. ص. 155.

[63] "ويرجع بناء هذا المعبد الكبير إلى تأثر الحضارة المصرية القديمة بالحضارة اليونانية. ووفقا للأسطورة اليونانية القديمة، أراد الملك أن يجعل هذا المبنى سجنا للوحش الأسطوري، الذي كان يسمى في الأساطير اليونانية القديمة المينوتور، وهو كائن أسطوري يهاجم الناس ولا يتوقف عن الإساءة إليهم. والدمار، إلا إذا ضحى الشعب كل عام بسبعة من أفضل شباب أثينا القديمة، وسبع من أجمل الفتيات العذارى.

وتقول الأساطير اليونانية إن ثيسيوس، ابن الملك الأثيني، دخل إلى المتاهة وقتل الوحش، قبل أن يتمكن من الخروج منها عبر الممرات الجانبية الملتوية، بعد أن زودته أريادنا ابنة مينوس بالكرة. من الخيط، ليستخدمه في طريقه إلى الداخل، ثم تتبع هذه الخيوط إلى مخرج لا يضيع في المتاهة، ويربط بعض المؤرخين القدماء بين الملك المصري القديم أمنمحات الثالث، الذي ذكروه باللاماريس، وبين هذا المبنى الضخم الذي أطلقوا عليها اسم لابرينثوس، وهي مختصرة بالعربية." إلى اللابرانت.

[64] الملائكة، ج2 :199.
[65]. ينظر: بدوي، 1993، الرواية الجديدة في مصر - دراسة في التشكيل والأيديولوجيا،ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت ، ص119.

المراجع و المصادر

أولاً: الكتب

1. باشلار، غاستون ،2000، جماليات المكان، تر. غالب هلسا، ط5،المؤسسة الجامعية، بيروت.
2. بدوي،محمد، 1993م، الرواية الجديدة في مصر - دراسة في التشكيل والأيديولوجيا،ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت.
3. البطل، علي، 1984م، شبح قايين، دراسة تحليلية، دار الاندلس، بيروت، ط1.
4. بن ديده يمنيه، بن ديده حياة، 2016، الحداثة في الشعر العربي المعاصر نازك الملائكة أنموذج، جامعة د.مولأي طاهر، الجزائر.
5. حريزي، عبد الوهاب، 2017، الرمز الأسطوري وجماليته عند نازك ديوان شظايا ورماد أنموذجا، جامعة محمد بو ضياف، الجزائر .
6. حلاوي،يوسف،1997،المؤثرات الاجنبية في الشعر العربي المعاصر، دار العلم للملايين، لبنان.
7. خفاجي، عبد المنعم،1992، دارسات في الأدب العربي الحديث ومدارسو، ط1،دار الجيل، بيروت.
8. زغدان، عبد الوهاب ،1995، المكان في رسالة الغفران -أشكاله ووظائفه،ط2، دار صامد، تونس.
9. السامرائي،إبراهيم،2002، البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر، عمان.
10. السواح، فراس، 1987م، قراءة في ملحمة جلجامش،ط1، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق.
11. شكري، غالي ،1968، شعرنا الحديث إلى أين؟، دار المعارف، بمصر.
12. عبد الواحد، لؤلؤة،1969، قضية الشعر الحر في العربية، مجلة شعر، العدد 43.
13. عجينة، محمد ،1994، موسوعة اساطير العرب عند الجاهلية ولالاتها، ج2.
14. عز الدين، اسماعيل،1981، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،ط3، دار الفكر العربي.
15. غربال واخرون، 1987: الموسوعة العلمية الميسرة: 1100/2 .
16. الملائكة، نازك،1981م، قضايا الشعر العربي المعاصر، ط2، دار العودة للملايين، بيروت.
17. الملائكة، نازك،1997، المجلد الأول، دار العودة، بيروت.
18. الملائكة،نازك،1997، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت .
19. ميخائيل باختين، 1990م، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر. يوسف حلاق، وزارة الثقافة، سوريا .
20. يوسف الخال، الحداثة في الشعر، دار الطليعة، بيروت، 1978،

ثانياً: المقالات

1. هاشم،رباب، 2009م،توظيف الرموز الأسطورية في الشعر بين نازك والسياب،مجلةكلية التربية الاساسية، العدد58.
2. ياسين، الطبل، مجلة القافلة الثقافية، https://qafilah.com/ar/.

ثالثاً: المصادر الانكليزية

1. Ellen، M ،1972، A Study of Dame Edith Sitwell's "Later Poems: 1940-1945، ، Loyola University Chicago.

2. Hana' Muhammad abd al – Razak ، 1989 : Keats، Shelley and Byron in Nazik al-Mala'ikah's Poetry"، Glasgow University .

3. IBRAHIM،SARAH،ISL،2016، EDITH SITWELL AND THE SYMBOLIST TRADITION: A STUDY Of HER POETRY، UNIVERSITY OF BAGHDAD،COLLEGE OF EDUCATION/ IBN RUSHD FOR HUMAN SCIENCES

4. Ilse Deceuninck ،2015، Tired of Waiting: Edith Sitwell's Fairytale Poems، Ghent University Faculty of Arts and Philosophy ،Dissertation submitted in partial fulfilment of the requirements for the degree of "Master in de Taal- en Letterkunde: Engels.

5. John Lehmann: 1952 ، **Edith Sitwell**، London، Longmans. .

6. Sitwell، Edith. Collected Poems، New York; Vanguard Press، 1954.